عيـــــــد فى «أكسفورد»

عندما فتحت الراديو لأسمع نشرة الأخبار المسائية الأولى من محطة الشرق الأدنى (أى فى الساعة الرابعة والنصف مساءً حسب توقيت انجليزى) بدأ المذيع فقال : « يحتفل المسلمون اليوم بعيد الأضحى المبارك . . . الخ » وحمدت الله وشكرت المذيع لأننى حتى ذلك الوقت لم يخطر على بالى أى شىء عن العيد . ومرت دقائق بعد ذلك طرتا بها من أكسفورد إلى الكويت . تصورت نفسى واقفاً فى الصفاة والناس بثيابهم الجديدة وفرحة العيد فى حركاتهم وكلامهم وأصوات الباعة تدوى فى الفضاء مختلطة بنفير السيارات . وروائح المأكولات تطارد الزبائن . وبينما أنا كذلك إذ بصوت يناديني « أسرع الشاى جاهز » .

نزلت للشاى وأنا لا أزال أفكر فى العيد وأيامه السعيدة . تلك الأيام التى قضينا العيد فيها بين الأهل والأحباب وفى ربوع الوطن العزيز ، وكلما تصورت نفسى فى هذا البلد الغريب ازددت شوقاً إلى تلك الأيام .

لم أذكر لأهل الدار التى أسكن بها أى شىء عن العيد فكنت طوال الوقت أفكر ماذا أعمل اليوم ؟ أأتركه يمر كباقى الأيام العادية ؟ أم ماذا ؟ لسوء الحظ لست أعرف أى شخص مسلم أو عربى فى هـــذا البلد لكى نحتفل معاً بالعيد . ثم واتتنى فكرة . لماذا لا أخرج الآن وأطوف بشوارع أكسفورد لمدة ما، فربما وجدت أحداً أعرفه من العرب أو ربما تعرفت صدفة بأحد المسلمين فنحتفل معاً بالعيد .

خرجت من البيت وركبت سيارة (الأتوبيس) ولم يكن هناك محل للجلوس فوقفت . ولاحظت شخصاً أسمر ينظر إلى ، ثم ابتسم فقلت لنفسى هذا هو المنقذ ، فرصة لطيفة وحظ جيد . وتشاء الصدفة للمرة الثانية أن يقوم الشخص الجالس بجانبه فأخذت محله . والتفت إلى الشاب الأسمر فقال بالإنجليزية « حضرتك هندى ؟ أنا أظن رأيتك قبل هذه المرة فى الهند » وبعد سؤال وجواب اتضح أنه هندى مجوسى . لقد أفلت الطير من الشرك . عدو من أعداء الإسلام المزمنين . فتركته ونزلت .

بدأت أدور فى الشوارع وعينى مركبة على وجوه المارة لكن مضى أكثر من نصف ساعة ولم أجد أحداً . وقلت لنفسى « أحسن طريقة أكتب لوحة وأكتب عليها (مسلم) وأعلقها على صدرى ، لعل وعسى أن يراها أحد المسلمين . ولولا الحياء لعملت ذلك .

بعد تلك الجولة المضنية قررت أن أذهب للسينما لوحدى احتفالا بالعيد وخرجت من السينما حوالى الساعة الثامنة مساء . وإكمالا للاحتفال بالعيد ذهبت المطعم الهندى الوحيد فى أكسفورد . وطلبت أرزاً ولحماً احتفالا بعيد اللحم . ولم أفم إلا بعد أن أتيت على كل ما فى الصحون . وبعد خروجى من المطعم عكفت على دكان حلوى واشتريت شيكولاته وهى — كما يعلم القراء — بالتموين شأنها شأن باقى الحلويات الأخرى .

ذهبت إلى البيت فإذا هم قلقون لغيابى عن العشاء لأننى لم أخبرهم بأننى سأتعشى خارج البيت . بدأت بتوزيع الشيكولاته عليهم ولما سألونى ما السبب أخبرتهم عن العيد وكيف أننا فى بلاد العرب (نضحّى خرفان) وأننى لعدم استطاعتى تضحية خروف (أضحّى شيكولاته) وقام كل واحد منهم مهنئاً إياى بالعيد وقائلا (هابى كرسمس) ولكن هذا لا يصح إذ أنه ليس (كرسمس) فاقترحت أن يقولوا (هابى عيد الأضحى) .

وتذكرت الآن فقط أننى كتبت رسائل لبعض أصدقائى صباح هذا اليوم ولم أهنئهم بالعيد . وخوفى الآن من أن يقولوا « خلاص سافر انجلترا ونسى كل شىء . الولد صار سكسونى » .

هذا يوم العيد هنا فهنئاً لكم يا من احتفلتم به فى دياركم وبين أهليكم . وكل عام وأنتم بخير .

اكسفورد — حامد عبد السلام